مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
Eissn :2600-6405 Issn : 2353-0472
المجلد 8 / العـدد: 02 (2021)، ص 54- 74

المحطات التاريخية الكبرى التي مرّ بها علم القراءات بالمغرب الأوسط (الجزائر)

- من بداية الفتح إلى حدود القرن الثالث الهجري –

The major historical milestones that the science of Koranic readings- passed through in central maghreb (ALGERIA) From the beginning of the Islamic conquest to the third century AH

فتحي بودفلة

كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر (1)- الجزائر.

f.boudefla@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021/06/15 تاريخ القبول: 02 /2021/12 تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

يعرض المقال تاريخ علم القراءات في المغرب الأوسط (الجزائر) من خلال الوقوف على أهمّ المحطات التاريخية التي مرّ بها محاولا تعريف القارئ بمظاهر هذه المحطات، وتأثيراتها على القراءات القرآنية، وسيبدأ في هذا المقال بالمرحلة الممتدة بين بداية الفتح الإسلامي والقرن الثالث الهجري. ويعتقد صاحب المقال أنّ الإحاطة بعلم القراءات وحسن قراءة مصادره وفهمها، وفقه اختلافها، ومناهجها، متوقف على إدراك بيئتها التاريخية التي أنتجت فيها..

كلمات مفتاحية: تاريخ القراءات، القراءات في الجزائر، القراءات في المغرب الأوسط، تاريخ القراءات في الجزائر.

Abstract:

The article presents the history of the science of quranic reading in the central maghreb (Algeria) by examining the most important historical stages that it has gone through in an attempt to inform and familiarize the reader with the manifestations of these stations and their effects on quranic readings.

The author of the article believes that the knowledge of the scienc of the quranic readings, the good reading and understanding of its sources, their differences, and their methods, depend on the awareness of their historical environment in which they were produced. ..

Keywords: quranic readings; hitory of koran; history of quranic readings; koran in Algeria; quranic readings in Algeria.

المؤلف المرسل: فتحي بودفلة

1. مقدمة:

يعتقد صاحب المقال أنّ السياق التاريخي كثيرا ما يُغَيّب -بقصد أو بغير قصد- عند التعامل مع النصوص في مختلف الحقول المعرفية الشرعية، ما ينجم عنه سوء فهم للنّص، أو توظيف له مخالف لمراد قائله، أو اختلاف في دلالاته...ونحو ذلك من الإشكالات العلمية ، والأخطاء المعرفية، التي ما كان ينبغي أن تقع لو أنّنا قرأنا النّص في سياقه التاريخي وأعملنا في فهمه القرائن الزمانية والمكانية المحيطة به.

ولهذا عمَد إلى دراسة تاريخ القراءات في هذا القطر الحبيب (الجزائر) بمسماها المعرفي القديم (المغرب الأوسط) في سلسلة من المقالات تعالج كلّ واحدة منها مرحلة تاريخية أو منطقة جغرافية مخصوصة، بدأها ها هنا بمرحلة الفتح الإسلامي إلى حدود القرن الثالث الهجري، محاولا الوقوف على مظاهر القراءات وخصوصياتها وجميع ما يتعلق بها خلال هذه المرحلة.

ولعلّ أوّل ما يعيق البحث في هذه المرحلة كون النّصوص التي تخصّ المغرب الأوسط بالحديث قليلة؛ من جهة تبعيته ثقافيا ومعرفيا لإفريقية والقيروان، وكلّ من نبغ خلال هذه المرحلة، أو كلّ من وصف وضعا علميا في المناطق الداخلية لبلاد المغرب نسب ذلك لإفريقية باعتبارها العاصمة الكبرى والحاضرة العظمة

التي ينسب إليها المغرب كلّه...يقول عبد الهادي حميتو مشيرا إلى هذه الحقيقة: "أما الجهات المغربية الداخلية فالريادة فيها في هذه القراءة غير معروفة لأحد على سبيل التعيين، ولكنها مع ذلك كانت تستفيد من الجهات الإفريقية بحكم تبعيتها لها بعد الفتح وحركة التواصل التي ظلت قائمة بينها، الأمر الذي كان يجعل الحديث عن إفريقية والقيروان حديثا في الوقت نفسه عن امتداداتها في هذه الأقاليم، إلا أنّ قاعدة المغرب يومئذ كانت تستقطب إليها كل نابه ينبغ في علم من العلوم فينسب إليها دون بلده أو جهته.[1]" لهذا سنعتمد بعض النّصوص المطلقة إذا كانت القرائن التاريخية والجغرافية تفيد انسحاب دلالتها وتأثيراتها على المغرب الأوسط....

وسينتظم هذا المقال في مقدمة للتعريف بالموضوع، وخاتمة لذكر النتائج والتوصيات، ومطلب للحديث عن عناية واهتمام أهل المغرب بتعلّم القرآن وتعليمه منذ بداية الفتح الإسلامي، ومطلب للحديث عن مظاهر تعدد القراءات وأسبابه، ومطلب للحديث عن حقيقة القراءات التي كانت موجودة في المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة، ومطلب للحديث عن نماذج من قراء هذه المرحلة..

2. المطلب الأول: عناية أهل المغرب بتعلّم القرآن وتعليميه خلال مرحلة الفتح الإسلامي.

تعلّم أهل المغرب القرآن وحفظوه وضبطوه واهتموا به من أوّل الفتح الإسلامي، وهذا هو شأن المسلمين كلّهم، ما إن يدخلوا في الإسلام حتى يهتموا ويعتنوا بمصدره الأوّل القرآن الكريم، يوظفوه في عباداتهم، وفي علمهم وتعلّمهم، وفي دعوتهم، وفي شؤون حياتهم كلّها[2]، ولعلّ من أهم ما يشير إلى انتشار تعلّم القرآن وتعليمه، الحديثَ عن الكتاتيب الإسلامية والمعاهد القرآنية التابعة

[1] قراءة الإمام نافع عند المغاربة 143/1

[2] ينظر قراءة الإمام نافع عند المغربة 32/1

للجوامع والمساجد التي بدأ تشييدها خلال مراحل الفتح الإسلامي الأولى، فقد ذكر أبو زيد عبد الرحمن الدبّاغ (696هـ) في معالم الإيمان، عن غياث بن أبي شبيب، قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمرُّ بنا ونحن غِلْمَة بالقيروان، فيسلم علينا ونحن في الكُتّاب وعليه عمامة قد أرخاها من خَلفه[3]، وظاهرة اختطاط الجوامع والمساجد واتخاذها كتاتيب للصغار كانت ظاهرة ملازمة لتوسع المسلمين وفتوحاتهم فما من بلد دخلوه وحلُّوا به، إلا اتخذوا فيه مسجدا جامعا للصلاة والدعوة والتعليم وتحفيظ القرآن...، ومن أوائل ما اتخذ من ذلك في بلاد المغرب المسجد الذي اختطّه الصحابي الجليل ابن أبي السرح رضي الله عنه في سبخة القيروان في حدود اثنين وثلاثين للهجرة (32هـ)[4]، ومسجد الأنصار الذي أسس بموقع القيروان قبل المدينة نفسها سنة سبع وأربعين للهجرة (47هـ) اختطّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رُوِيْفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه[5]، ، وجامع الزيتونة الذي أمر ببناء أصله التابعي الفاتح حسان بن النعمان سنة تسع وسبعين للهجرة (79هـ)، ومسجد إسماعيل بن عُبيد الأنصاري بُني سنة ثلاث وتسعين للهجرة (93هـ)[6] وإنما ذكرت هذه المساجد والجوامع لأنها تمت قبل استكمال عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث كانت المنطقة جميعها تخضع لسلطان واحد وتأثير موّحد، فطبيعتها ومنهجها والقائمون عليها وتأثيرها مشترك بين أقطار المغرب كلّه، وفي المغرب الأوسط بنى أبو مهاجر دينار الجامع بجانب دار الإمارة في مدينة ميلة حوالي سنة تسع وخمسين للهجرة (59هـ)[7]، وقد كان هذا الجامع قائما مستمرا في خدمته

[3] معالم الإيمان 150/1

[4] معالم الإيمان 137/1-138

[5] معالم الإيمان 27

[6] معالم الإيمان 27-28

[7] تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي 169/1

وعطائه في أواسط القرن الخامس الهجري حين مرَّ به الجغرافيُّ أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي (487هـ)[8]،ولا نستبعد أن تكون حواضر المغرب الأوسط قد حظيت جميعها بهذا الشرف، واستفادت من هذا الصنيع، بناء الجوامع والمساجد التي اتخذت فيها الكتّاتيب لتعليم القرآن وحفظه.

3.المطلب الثاني: تعدد القراءات دراسة في المظاهر والأسباب

ما تقدَّم كان حديثا عن تلقي القرآن كلّه واحدا موحَّدا، أما قراءاته موضوع مقالنا فقد تأخر ظهورها كاختصاص، أو كمجموع أوجه للقرآن الكريم تذكر وتقرأ دفعة واحدة، لكن أصل تعدد قراءات القرآن الكريم في بلاد المغرب كان موجودا معروفا؛ فقد كانت قراءات القوم مختلفة باختلاف مناطق بلاد المغرب، وباختلاف الفئات الاجتماعية، والمذاهب الفكرية والعقدية، وباختلاف مدارس التعليم والتلقي، وسأذكر ها هنا بعض أنواع وأسباب هذا الاختلاف في القراءات...

1.3 تعدد قراءات الفاتحين:

دخل بلاد المغرب من الصحابة عدد كبير وجمٌّ غفير عدّ منهم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الدبّاغ (696هـ) ثلاثين من كبارهم، واثني عشرة من صغارهم رضي الله عنهم أجمعين ممّن دخل مدينة القيروان فقط[9]، والمتتبع المتأمل في تراجمهم يلاحظ تنوع قراءاتهم، فبعضهم أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم مباشرة كأبي سعيد المِقداد بن عمرو البهراني القُضاعي وأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنهما، وبعضهم جمع بين الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعن كبار مقرئي الصحابة رضي الله عنهم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، وبعضهم أخذ عن الصحابة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء كثروا، أو قلّوا، أو كان واحداً منهم فقط، ومن أشهر

[8] المسالك والممالك للبكري 729/2.

[9] معالم الإيمان 33/1 وما بعدها...

الصحابة الذين أخذ عنهم الفاتحون لبلاد المغرب، زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي بكر، وعمر بن الخطاب[10]...وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

ثم التابعون وتابعوهم كانوا أمة، مختلفو القراءة، فقد تعددت مصادر وموارد قراءاتهم، بتعدد مشايخهم وتنوع أمصارهم...وهذا كلّه كان له الأثر البارز في تعدد قراءات أهل المغرب وتنوعها.

2.3 طول الفتح الإسلامي، وتواصل الوافدين الجدد على بلاد المغرب:

ثم إنّ الفتوح تواصلت، فقد استمر فتح شمال إفريقيا قريبا من قرن من الزمن، بداية من 22هـ إلى ما بعد 86هـ،[11] والوافدون على هذه البلاد لم يتوقفوا حتى بعد إتمام الفتح الإسلامي، فالمسلمون بمختلف أجناسهم وقبائلهم وفدوا على بلاد المغرب وهاجروا إليها، وقد صحّ استقدام حسان بن النعمان لأكثر من ألف عائلة مصرية[12]، وصح هجرة بعض القبائل العربية، وبعض أهل فارس، وإرساليات بلاد الشام[13]، ومن العراق[14]...أكثرهم اشتغل بالحِرف والصناعات، وبالتعليم وتحفيظ القرآن.... فهذه الوفادة المستمرة والهجرات غير المنقطعة على بلاد المغرب لا بدّ وأن يكون لها تأثيرها البالغ في تنوع وتعدد القراءات من جهة كون هؤلاء الوافدين مصدرا لتعَلُّم القرآن الكريم، ومن جهة كثرتهم وتعددهم واختلاف وتنوع قراءاتهم...

---

[10] ينظر تراجم الصحابة الفاتحين لبلاد المغرب المنقولة في معالم الإيمان 33/1 وما بعدها...

[11] ينظر تاريخ الجزائر العام من 160/1 إلى 200/1

[12] تاريخ الجزائر 190/1

[13] كالبعثة العلمية لعمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي رحمه الله إلى بلاد المغرب، تاريخ الجزائر العام 189/1

[14] سنقف على نماذج منها حين الحديث عن تأثير التيارات الفكرية والمذاهب العقدية....

3.3 تعدد مصادر وموارد المعرفة عند المغاربة:

تنوعت وتعددت مصادر أهل المغرب في أخذ القراءات، فقد أخذها أوائلهم عن الفاتحين مباشرة، ورحل بعضهم حجاجا فأخذوا القرآن أو شيئا منه عن قراء مصر ومكة والمدينة[15]، وسافر بعضهم إلى البصرة[16]، وآخرون إلى بلاد الشام، والعراق (بغداد)[17]، والأندلس[18]...والرحلات إلى هذه البلدان ثابتة، والأخذ فيها مؤكّد، فتنوعت من أجل ذلك قراءاتهم لتنوع مصادر تلقيها وأخذها...

4.3 تعدد التيارات الفكرية والعقدية في بلاد المغرب:

عرف نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري وفودَ ممثلي جماعات فكرية وعقدية عدة، فقد عرف أهل المغرب دعوة الخوارج بمختلف مذاهبها، والدعوة الشيعية بمختلف طوائفها، والفكر المعتزلي، والجبرية، والقدرية...وجميع هذه الفرق العقدية والطوائف الفكرية كانت لها مصادرها المعرفية الخاصة بها بما في ذلك مصدرها الذي تلقت منه قراءة القرآن الكريم...[19]

5.3 التمايز الثقافي والفكري بين السلطة المغاربية وعموم الشعب:

إنّ ظاهرة التمايز الفكري بين السلطة في بلاد المغرب، وبين الرعية كان لها أثرها في تنوع القراءة ولابدّ، فقد توجّه عموم المغاربة ابتداء من نهاية القرة الأوّل

---

[15] وهذا شأن أكثر قراء وعلماء بلاد المغرب ولهذا انتشر أكثر ما انتشر في بلادهم عقائد ومذاهب وقراءات أهل الحجاز ومصر.

[16] من أشهر المتنقلين للبصرة الطائفة الأولى من شباب الدولة الرستمية اللذين نقلوا المذهب الإباضي لبلاد المغرب وتلقوه بالبصرة عن الشيخ أبي عبيدة مسلم المعروف بالقفاف، ينظر مقال: الأدب الجزائري القديم ج1، د.شمسية غربي، مجلة الند، العدد 110، أوت 2015م ، https://www.oudnad.net/spip.php?article1468

[17] ولعل أبرز مثال لمن أخذ علمه ببلاد العراق وتأثر بالمذهب الحنفي –رغم مالكيته- من حيث التأصيل للفروع الفقهية أسد بن الفرات، ينظر: تاريخ الجزائر العام229/1، ومن أمثلة الآخذين ببلاد العراق بكر بن حماد (296ه) تاريخ الجزائر العام 241/1...

[18] الأدب الجزائري القديم ج1.

[19] تاريخ الجزائر 201/1وما بعدها، 208/1-209، 209/1، 201/1 وما بعدها...، 245/1.

وبداية القرن الثاني للهجرة نحو اعتماد قراءة ومذهب أهل المدينة، بينما كانت السلطة بحكم تبعيتها للخلافة المركزية في دمشق، أو بغداد تفرض اتجاهات مغايرة[20]، من خلال تعيين كبير القضاة الذي كان يتولى بدوره تعين مساعديه في القضاء، وخطباء الجوامع، وأئمة المساجد، فقد عيّنت دمشق عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني قاضيا على إفريقية وما يليها من بلاد المغرب[21]وولى أبو جعفر المنصور العباسي عبدَ الرحمن بن زياد بن أنعم قضاء إفريقية[22].... وقد كان الإمام سحنون قبل أن يولى القضاء وينتشر تلامذته في بلاد المغرب كلّه، يلقى من أمراء الأغالبة في إفريقية وأئمتهم وقضاتهم مخالفة ومغالبة وتعسير وتشديد بسبب مخالفتهم لمعتقداتهم في كلام الله تعالى وغيره...[23] ومثله أبو الوليد مروان المسيلي وما لقيه من أمراء بني الأغلب بسبب مخالفته لمعتقداتهم ومذاهبهم[24]

4. المطلب الثالث: القراءات التي يرجح أنّها كانت موجودة في المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة

سنحاول في هذا الفرع تتبع واستقراء القراءات التي عرفها أهل المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة من تاريخه، وذلك بالاستعانة بالقراء الذين نزلوا بلاد المغرب ووفدوا عليها ويرجح أنّ أهلها تلقوا عنهم شيئا من القراءات، وبالوقوف على المصادر والموارد التي يرجح أنّهم أخذوا منها القراءات، وبتتبع مختلف التأثيرات المعرفية والموارد العلمية التي نستطيع أن نستشِّف منها عددا وأنواعا من هذه القراءات التي عرفها أهل المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة من تاريخه.

---

[20] ينظر تاريخ الجزائر العام 210/1

[21] تاريخ الجزائر العام 190/1، تهذيب التهذيب للحافظ10/256-257

[22] طبقات علماء إفريقية ص27

[23] انظر إشارات لذلك في سير أعلام النبلاء 12/65-66-69

[24] ينظر تاريخ الجزائر العام 1/216-217

1.4 قراءات الصحابة رضي الله عنهم:

هي قراءات الفاتحين الأوائل، فقد أخذ أهل المغرب قراءتهم أوّل ما أخذوها عمّن اعتنقوا على أيديهم الإسلام، وأجلّهم وأعلمهم هم الصحابة رضي الله عنهم، وسأذكر بعضهم ممّن وردت عنهم روايات في القراءات:

- ✓ قراءة ابن عباس رضي الله عنه، فقد أخذ القراءة عن النبي صلى الله عليه وسلّم، وعن عمر وعثمان وعلي وزيد وأبي ذر ووالده وأبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين...[25]
- ✓ عبد الله بن عمر أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبيه، وقد وردت عنه روايات في القراءات...[26]
- ✓ عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم مباشرة وعن أبيه، وقد وردت عنه روايات في القراءات...[27]
- ✓ عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أخذ عن أبيه وغيره من الصحابة رضي الله عنه، قال الداني وردت الرواية عنه في حروف القرآن....[28]

2.4 قراءة نافع وعموم أهل المدينة:

جيش الفاتحين في حملاته الأولى كان ينطلق من المدينة، وأكثره من سكانها، فلا نستبعد أن يكون أهل المغرب قد أخذوا عنهم قراءة أهل المدينة...، ثم إنّ المدينة هي عاصمة الخلافة الأولى، فلا بد أن يكون لهذه العاصمة التي تمثل مركز القوة الإسلامية وعاصمة الأمة ومصدر توجيهاتها، تأثيرا فكريا وثقافيا، ولا بدّ أن يكون هناك نوع من الاقتداء والاتّباع لاختيارات هذه العاصمة، ولا نستبعد أن يكون كذلك شيء من الإلزامات الإدارية والأوامر المركزية...

---

[25] معرفة القراء ص22، غاية النهاية 1791/425/1

[26] غاية النهاية 1827/437/1

[27] غاية النهاية 1835/439/1

[28] غاية النهاية 1771/419/1

ولعلّ من أهم ما يتَضح فيه هذا التأثير والتأثر المُبَكِّر بثقافة المدينة المنورة -عقديا فقهيا وقرائيا- المحاولة الرسمية الأولى لجمع أهل المغرب على مذهبهم، والتي قادها إدريس الأكبر (177هـ)، الذي كان يقول: "نحن أولى بمذهب مالك وموطأه من غيره"[29]؛ وسبب ذلك هو رواية الإمام مالك عن أبيه عبد الله الكامل، وفتواه في خلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وصحة البيعة لمحمد النفس الزكية الأخ الأكبر لإدريس الأوّل بن عبد الله الكامل، ومعروف أنّ مالكا رحمه الله قرأ على نافع، وهو القائل في قراءته "سنة"، ومعلوم كذلك أنّ من يسافر إلى المدينة ويتنقل لأخذ الفقه عن مالك لا بد وأن يأخذ قراءة أهل المدينة وخاصة قراءة إمامها وخطيب مسجدها نافع المعاصر للإمام مالك رحمهما الله.

يلي هذه المحاولة الأمر الرسمي الذي أصدره قاضي الدولة الأغلبية عبد الله بن طالب بن سفيان أبو العباس (275هـ)، ذكر أبو عمرو الداني أنّه في أيام قضائه أمر ابن برغوث المقرئ بجامع القيروان ألا يقرئ الناس إلاّ بحرف نافع[30]، ولا يستبعد أن يكون أمرا عاما لا يختص بجامع القيروان دون غيره، أو يكون خصَّ به هذا الجامع فقط لكونه حاضرة علم، لكن على كلِّ حال يمكن اعتبار هذا المرسوم القضائي أحد أهم المحطات التاريخية في انتقال عموم أهل المغرب إلى قراءة نافع...

ذكر المقّري في نفح الطيب أنّ قراءة أهل المدينة كانت قراءة خواص العلماء، ولم تنتشر بين العامة ويأخذ بها عموم أهل المغرب حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري[31]، وهو تاريخ يتناسب وأمر لقاضي ابن طالب.

ومن أوائل القراء المغاربة الذي أخذوا بقراءة نافع زكرياء بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الله أبو يحيى المعروف بالوقار قرأ على نافع، ودخل بلاد المغرب سنة خمس ومائتين (205هـ) قرأ عليه أبو عبد الرحمن المقرئ، ومحمد بن

---

[29] تاريخ الجزائر العام 251/1

[30] ترتيب المدارك 313/4.

[31] أحمد بن المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1997م ، 2/64-65.

برغوث...[32]وابنه أبو بكر بن أبي يحيى (توفي بالقيروان سنة 269هـ)، وسهل بن عبد الله بن سهل القبرياني وإبراهيم بن داود بن يعقوب نزيل طرابلس[33].

ومنهم محمد بن برغوث أبو عبد الله القروي –المتقدم الذكر-، نعته ابن الجزري بالمقرئ المتصدر بالقيروان أخذ عن نافع، وروى عنه تميم محمد بن أحمد التميمي توفي سنة اثنين وسبعين ومائتين (272هـ)[34].

3.4 قراءة ابن عامر وعموم أهل الشام:

لقد انتشرت قراءة أهل الشام على وجه الخصوص خلال مرحلة الخلافة الأُموية، من خلال البعثات العلمية التي كانت ترسلها دار الخلافة، أو من خلال التعيينات الخاصة، فهذا عمر بن عبد العزيز يرسل جماعة من الفقهاء والقراء لتعليم أهل المغرب أمور دينهم ويعيّن ويُنَصِّبُ بنفسه قاضي بلاد المغرب عبد الله بن أبي بردة الكناني[35]الذي سيتولى خطة القضاء وتعيين مساعديه في مختلف المناطق المفتوحة والخطباء وأئمة الصلوات ومعلمي القرآن. هذا إضافة إلى كون الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أكثره تمَّ خلال هذه المرحلة ما جعل جلَّ الوافدين على هذه البلاد من الجيش الإسلامي كانوا ممّن يقرأ بقراءة أهل الشام، وعلى رأس هؤلاء الفاتح الأوّل للمغرب الأوسط إسماعيل بن أبي مهاجر كان ممّن قرأ على إمام الشام ابن عامر (118هـ)[36] فأخذ قراءته، والتي لا نستبعد أن يكون باعتباره معَلّما في بعثة عمر بن عبد العزيز ووالي وأميرا وفاتحا أسلم على يديه المئات إن لم نقل الآلاف قد عمل على نشرها وتعليمها...ومثله ربيعة بن يزيد أبو الأشعث الدمشقي أخذ القراءة عن ابن عامر، استوطن بلاد المغرب ومكث فيها إلى أن قتل في فتوحاتها سنة ثلاث وعشرين ومائة (123هـ)،[37]وبذلك كلّه دخلت قراءة ابن

---

[32] ترتيب المدارك 37/4

[33] قراءة نافع، حميتو 139/1

[34] غاية النهاية 2871/104/2، القراء بإفريقية، هند شلبي 281

[35] تاريخ الجزائر 190/1

[36] قراءة الإمام نافع، حميتو 80/1-81

[37] سير أعلام النبلاء 239/5-240، تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (571هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت 1415هـ 1995م. 9837/192/72

عامر إلى هذه البلاد...[38] يضاف إلى ذلك من جانب آخر تأثير بلاد الأندلس القريبة من بلاد المغرب، فقد كان أهل الأندلس في القديم على مذهب الأوزاعي وقراءة ابن عامر، وكان الاتصال بين العدوتين على أشدّه.[39]

4.4 قراءة أهل الكوفة:

كانت قراءة حمزة منتشرة وغالبة على أهل المغرب بداية من القرن الثاني إلى حدود نصف القرن الثالث للهجرة[40]، ولعلّ السبب الأوّل وراء ذلك هو تأثير الدولة العباسية المركزية (132هـ..)؛ فقد كانت تعيّن قاضي القضاة والذي كان من أعماله واختصاصاته تعيين قضاة المقاطعات وخطباء المساجد وأئمة الصلوات ومعلمي القرآن... وهذا كلّه كان له أثره الكبير على الحياة الثقافية للبلاد[41].

وكانت دولة الأغالبة (184-296هـ) والتي تمتد حدودها إلى داخل المغرب الأوسط تابعة للخلافة العباسية سياسيا وفكريا، فكان مذهبها الفقهي هو مذهب أبي حنيفة، ومذهب أهل العراق في تقديم الرأي[42]، وكان معتقدها هو نفسه معتقد الخلافة فقد قالوا بخلق القرآن وحاولوا إلزام المغاربة بهذا المعتقد حتى عزم محمد بن الأغلب على قتل سحنون محمد بن سعيد [43]، وهكذا الأمر ذاته في خصوص القراءة كانوا يأخذون بقراءة أهل العراق...

---

[38] عبد الهادي حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش 121/1، مراد بلخير، تاريخ قراءة نافع بالجزائر، موقع المكتبة الجزائرية الشاملة بإشراف عمار رقبة، نشر بتاريخ 19/ سبتمبر/ 2017م. العنوان الإلكتروني للمقال: https://shamela-dz.net/?p=738

[39] نفح الطيب 230/03. قراءة نافع، حميتو 118/1.

[40] ابن الفرضي 1394/112/2، غاية النهاية 217/2، نفح الطيب 65-64/2.

[41] تاريخ الجزائر 262/1

[42] حتى أنّ أسد بن الفرات المالكي الأغلبي تأثر فقهه بفقه العراق فقيل في مدونته الأسدية أنّها كانت ممزوجة بمقالات رأي أهل العراق، خاصة وأنّه في مجالس مالك اشتهر بكثرة أسئلته وإعماله لرأيه، كما أنّه سافر إلى الكوفة والتقى بأصحاب أبي حنيفة، وخاصة محمد بن الحسن الذي لازمه وأخذ عنه...ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (544هـ)، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي وآخرون...،مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب) الطبعة الأولى1970م. 291/3

[43] معالم الإيمان 25/1

5.4 قراءة البصرة:

لم أجد نصًّا صريحا يثبت أنّ قراءة البصرة كانت متداولة موجودة ببلاد المغرب، لكن النظر في كثير من القرائن الثقافية والفكرية والسياسية تُرَجِّح أنّها كانت فعلا موجودة مقروء بها، ولعلّ أهم هذه القرائن تواجد بعض الفرق العقدية والجماعات السياسية التي استوحت ثقافتها وفكرها وعلمها من البصرة، كالمذهب الاعتزالي الذي انتشر في المغرب الأوسط والأقصى على وجه الخصوص، وفرق الخوارج المختلفة (الإباضية، الصفرية، النكارية)، بل إن الدولة الرستمية التي أسسها طلبة العلم الذين تكوّنوا بالبصرة، وكان من أوائل ما قامت به إرسال البعثات العلمية للبصرة....ويُستبعد أن يخلوَ هذا التفاعل الكبير من التأثير على قراءة القوم....

ولعلّ من أوضح هذه القرائن تواجد بعض الأعلام في بلاد المغرب ممّن كان يقرأ ويقرئ بقراءة أهل البصرة، من أشهرهم أبو زكرياء يحيى بن سلام التميمي البصري (200هـ) أخذ القراءات عن الحسن البصري والحسن بن واصل المعروف بابن دينار البصري، ويروى ليحيى بن سلام اختيار خاص به، اعتنى فيها بالمأثور، وله مصحف أثبت فيه اختياره هذا، وقد وظّفه واستعمله في تفسيره. نزل يحيى بن سلام بلاد المغرب سنة ثامنين ومائة (180هـ) واستوطنها، وقد روى عنه جماعة من أهل المغرب.[44]

وممّن نقل قراءة أهل البصرة لبلاد المغرب المُقْرِئُ عبد الله بن يزيد الأهوازي القصير أحد الأئمة الأعلام، كان جامعا لقراءات عدّة، حدّث عن نفسه قال: " أَقْرَأْتُ القُرْآنَ بِالبَصْرَةِ سِتّاً وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً، وَهَا هُنَا بِمَكَّةَ خَمْساً وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً" كما أنّه أخذ عن نافع، وكان له اختيار خاص به رواه عنه ولده محمد بن أبي عبد الرحمن، وفي خصوص قراءة أهل البصرة، قال عنه النقاش: "كان بعد أبي عمرو في البصرة يقرئ أبو عبد الله القصير" فقد جعله من حيث الإقراء صِنو

[44] تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (1408هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية 1994م. 246/53/3، قراءة نافع حميتو 108/1

الإمام أبي عمرو بن العلاء البصري وفي مرتبته، وكفى بهذا الوصف إثباتا لتمكنّه من قراءة أهل البصرة واشتغاله بإقرائها.....[45]

6.4 القراءات الشاذة:

المقصود بالقراءات الشاذة، القراءات التي كان يقرأ بها بعض الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم ممن أخذ عنهم، المخالفة لرسم المصحف، سواء قبل إجماعهم على المصاحف العثمانية، أو بعد ذلك عند بعض من لم يترك قراءته لقراءة عموم المسلمين والتي كان أهل العراق يسمونها بقراءة زيد، وكذا القراءات الموافقة لرسم المصاحف العثمانية غير أنّها لم تنتشر ولم تشتهر ولم يقرأ بها عموم النّاس...

لا وجود لنّص صريح يثبت وجود هذا النوع من القراءة في بلاد المغرب كلّها أو خصوص المغرب الأوسط خلال هذه المرحلة، لكن انعدام النّص لا دليل فيه على عدم الوجود، خاصة وأنّه لا شيء يدعو للتفريق بين بلاد المغرب وغيرها من بلدان الإسلام؛ فإذا كانت القراءات الشاذة موجودة ومنتشرة في كلّ أمصار الإسلام ومناطقها، فلم نستثني بلاد المغرب فنزعم أنّها كانت خالية من هذا النوع من القراءات....؟

ثمّ إنّ فتح بلاد المغرب بدأ قبل الجمع العثماني (22هـ) واستمر في المراحل الأولى لهذا الجمع، حيث كان لا يزال محل نقاش خارج المدينة...واستمرَّ الجمع مدة قبل أن يستقرّ في ربوع بلاد الإسلام وتعم المصاحف العثمانية المقاطعات النائية كلّها... وخلال هذه المرحلة لا نستبعد أن تكون بعض قراءات أهل المغرب ممّا توصف بالشذوذ...

ولتأكيد هذا الاحتمال أذكر أنّ أحد الذين شاركوا في فتح بلاد المغرب وهو عبد الرحمن بن أبي الأسود[46] كان يقرأ سورة الفاتحة بقراءة مخالفة لرسم المصاحف العثمانية ((صرط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين))فسئل عن ذلك فقال: "حدثني أبي -وكان ثقة - أنه صلى خلف عمر بن

[45] غاية النهاية 1/463-464/1931، سير أعلام النبلاء 168/10، قراءة نافع حميتو 113/1.

[46] معالم الإيمان 1/ 161.

الخطاب فسمعه يقرؤها." [47]يقول الأستاذ عبد الهادي حميتو معلقا على هذا الأثر: "فإذا كان مثل هذا يجري في أكثر السور دورانا على الألسنة في الصلاة، فما الظنّ بغيره ممّا فيه مجال لاتساع الخلاف ممّا يقرأ به من الشواذ. فمن المحتمل جدا أن أمثال هذه الحروف التي اعتبرت فيما بعد شاذة كانت ممّا يقرأ به الآخذون عن الفاتحين، ولا يجدون أدنى غضاضة في ذلك أو حرج أو إحراج. وكيف وقد تلقاها القارئ موثقة عن شيخه لا يخالجه أدنى شك في صحتها وجواز القراءة والإقراء بها، وإنما تعارف الناس على التمييز بين المتواترة وغيرها من الحروف بعد أم دونت القراءات واستفاض نقلها في عهود لاحقة."[48]

ولو أردنا تتبع قراءات فاتحي المغرب من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله، التي توصف بالشذوذ، لوجدنا منها الشيء الكثير...ابتداء بقراءات عبد الله بن عباس، وابن الزبير، وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين...لكن حسبنا ها هنا أن نثبت أصل وجودها خلال هذه المرحلة من التاريخ.

5. المطلب الرابع: بعض من قراء هذه المرحلة:

1.5 بكر بن حماد (296هـ)

صاحب أبي حاتم السجستاني

أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهل الزناتي التاهرتي، ولد ونشأ في تيهرت سنة 200هـ عاصمة الدولة الرستمية، حيث أخذ مبادئ العلوم، ليسافر إلى القيروان حيث التقى وتلقى عن طبقة سحنون بن سعد، ثم سافر إلى بغداد والبصرة سنة (217هـ) فأخذ عن جماعة منهم أبي حاتم السجستاني لازمه وأكثر عنه، وقد كان نحويَ البصرة، ومقرأها في زمانه، وإمامَ جامعها.

---

[47] أبو بكر بن أبي داود السجستاني (316هـ)، المصاحف، تحقيق محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ 2002م، ص159

[48] قراءة نافع عند المغاربة 1/76-77

ومن شعره يعتذر لشيخه الإمام أبي حاتم السجستاني لما رحل عن بغداد عائدا إلى بلاد المغرب:

ومؤنسة لي بالعراق تركتها وغصن شبابي في الغصون نضير
فقالت كما قال النواسي قبلها "عزيز علينا أن نراك تسير"
فقلت جفاني يوسف بن محمد فطال عليَّ الليل وهو قصير
أبا حاتم ما كان بغضه ولكن أتت بعد الأمور أمور
فأكرهني قوم خشيت عقابهم فداريتهم، والدائرات تدور[49]

تصدّر بجامع القيروان لإملاء الأدب والعلم سنة 274هـ فارتحل إليه كثير من أهل الأندلس، ثم رجع إلى تيهرت حيث توفي سنة 295هـ [50].

2.5 علي بن محمد البجائي

من تلامذة سحنون بن سعيد التنوخي (240هـ)، الذين نشروا وثبتوا مذهب مالك وقراءة نافع في بلاد المغرب، بأمر من شيخهم قاضي القضاء.

3.5 أبو خالد يحيى بن خالد السهمي الطبني[51]

ولاه شيخه سحنون (240هـ) القضاء على بلاد الزاب، فعمل على تثبيت ونشر مذهب مالك ومقرأ نافع في بلاد الزاب

[49] تاريخ الجزائر 242/1-243

[50] الأعلام 63/2، تاريخ الجزائر 241/1، معرفة الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة 77/3، معجم أعلام الجزائر ص58

[51] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية 1400هـ 1980م. ص204، قراءة نافع، حميتو 173/1-174

4.5 سليمان بن عمران البجائي[52]

ولاه شيخه سحنون منصب القضاء في بجاية، فكان من الذين عملوا على نشر مذهب مالك ومقرأ نافع في المغرب الأوسط، وكان قبل ذلك يأخذ بمذاهب أهل العراق.

6. خاتمة:

القراءات في بلاد المغرب لها خصوصياتها التي تميَّزت بها عن بلاد المشرق سواء في تَعدادها ونوعها، أو في أسباب تواجدها، وكيفية انتشارها، أو كيفية تعَلّمِها وتعليمها.. وقد تبيَّن لنا من خلال البحث أنّ انتشار وتعدد القراءات في بلاد المغرب كان وراءه في الغالب الأعم عوامل سياسية وجغرافية وعرقية أكثر منها علمية معرفية، كاختلاف قراءات الفاتحين، وتنوع الجهات التي قدموا منها (الحجاز، مصر، الشام)، وتعدد الجهات الرسمية التي تبنت قراءات مخصوصة، وألزمت بها رعاياها، (الخلافة الراشدة، الأموية، العباسية)، والتنوع المذهبي والعقدي الذي كان له دوره البارز في هذا التعدد والتنوع (السنة، المعتزلة، الخوارج...)...ومن النتائج التي خرجت بها هذه الدراسة أنّ بلاد المغرب على خلاف المشرق لم تعتمد القراءات كلّها خلال هذه المرحلة من التاريخ، بل بعضها فقط، وهي القراءات التي كانت وراء تواجدها ظروف تاريخية مخصوصة. وأنّ تبني أهل المغرب لقراءة نافع خلال هذه المرحلة لم يكن تبنيا تامّا ومطلقا بل لقد نافست قراءة نافع قراءات أخرى، وعارضت هذا التبني، أو على الأقل حدّت منه جهات سياسية رسمية وعرقية ومذهبية...(العباسيون، الأغالبة، الشاميون، المعتزلة، الخوارج...)، كما أنَّ تبني قراءة نافع بدأ على المستوى الشعبي قبل الرسمي...فقد انتشرت قراءة نافع في بلاد المغرب بين عموم أهلها قبل أن تفرض نفسها على ولاة

[52] ترتيب المدارك 58/4

المغرب الذين كانوا يعتمدون قراءات أخرى غيرها...من نتائج هذه الدراسة كذلك قلّة من برز من القراء فيها ولعلّ ذلك يعود إلى اشتغالهم بأصل القرآن عن قراءاته، فالأمة يومئذ محتاجة إلى التَّعرّف للقرآن وتعلّمه وحفظه والدعوة إليه شمالا وجنوبا ولم يكن الظرف يسمح لها بالتوسع في أوجه قراءاته المختلفة...

من التوصيات التي يقدمها صاحب المقال، مواصلة البحث والنظر في باقي المراحل التاريخية التي مرَّ بها علم القراءات في المغرب الأوسط، ومحاولة التدقيق والتنقيب في بعض الجزئيات التي أثيرت في هذا المقال، كمسألة تبني أهل المغرب لقراءة نافع بين التبني الشعبي والإلزام الرسمي....

7. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- أبو بكر بن أبي داود السجستاني (316هـ)، المصاحف، تحقيق محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى 1423هـ 2002م
- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني (852هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، 1326هـ
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر 2002 م.
- عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1400 هـ - 1980 م.
- عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الأنصاري الأسدس الدبّاغ (696هـ)، ومحشّيه، لأبي الفضل أبي القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (-839هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، وحاشيته، تحقيق إبراهيم شبّوح، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية 1388هـ 1968م.
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقة وبوداود وشركائهما، الجزائر- دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الثانية 1384هـ 1965م.
- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري الأندلسي (487هـ)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، 1992 م.
- عبد الله بن محمد المالكي أبو بكر ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية 1414 هـ - 1994 م

- عبد الهادي حميتو، قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش ومقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1424هـ، 2003م.
- علي بن الحسن أبو القاسم المعروف بابن عساكر (571هـ)، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت 1415هـ 1995م.
- عياض بن موسى أبو الفضل القاضي اليحصبي (544هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي وآخرون...،مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب) الطبعة الأولى1970م
- عياض بن موسى أبو الفضل القاضي اليحصبي (544هـ)،ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، 1965 م، وآخرون..، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، الطبعة الأولى (د ت).
- قاسم بن قُطْلُوْبَغَا أبو الفداء زين الدين السُّوْدُوْنِي الجمالي الحنفي (879هـ)،الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، الطبعة الأولى، 1432 هـ - 2011 م
- محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب (333هـ)، طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د ت)
- محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (748هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1417 هـ- 1997م.
- محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثالثة 1405 هـ / 1985 م.

- محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، اعتنى بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.
- محمد محفوظ (1994م)، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1994 م.

مواقع الانترنيت:

- شمسية غربي، الأدب الجزائري القديم -1، مجلة الند، العدد 110، أوت 2015م: https://www.oudnad.net/spip.php?article1468
- مراد بلخير، تاريخ قراءة نافع بالجزائر، موقع المكتبة الجزائرية الشاملة بإشراف عمار رقبة، نشر بتاريخ 19/ سبتمبر/ 2017م. العنوان الإلكتروني للمقال: https://shamela-dz.net/?p=738